كتاب

تفضيل الأتراك على سائر الأجناد

و

مناقب الحضرة العالية السلطانية

حرس الله جلالتها السامية

العزية الملكية

حرس الله

دولتها

تصنيف الوزير أبي العلاء بن حسول

رحمه الله

م

كتاب
تفضيل الأتراك على سائر الأجناد
و
مناقب الحضرة العالية السلطانية
حرس الله جلالتها السامية
العرتبة الملكية
حرس الله
دولتها

تصنيف الوزير أبي العلاء بن حسول
رحمه الله

م

بعض ما قيل في الترك :

لابراهيم الغزي :

وفتية من كماة الترك ما تركت ✦ للرعد صولاتهم صوتاً ولا صيتا
قوم اذا قوبلوا كانوا ملائكة ✦ حسناً وان قوتلوا كانوا عفاريتا
مدت الى النهب أيديهم واعينهم ✦ وزادهم صغر الاحداق تثبيتا

✦ ✦ ✦

ولعطا ملك الجويني :

أبادية الأعراب عني فانني ✦ بحاضرة الأتراك نيطت علائقي
واهلك يا نجل العيون فانني ✦ بليت بهذا الناظر المتضايق

✦ ✦ ✦

لابن الجهم :

ورافضة تقول بشعب رضوى ✦ امام خاب ذلك من امام
امام من له سبعون الفاً ✦ من الأتراك مشرعة السهام

✦ ✦ ✦

المقدمة لكتاب ابن حسول
بقلم
المحامي عباس العزاوي

بيانات نشر الكتاب

المؤلف
ابن حسول
أبو العلاء محمد بن علي (ت ٤٥٠هـ)

اسم الكتاب
تفضيل الأتراك على سائر الأجناد ومناقب الحضرة العالية السلطانية

بإعتناء
عباس العزاوي

مكان النشر
أنقرة

تاريخ النشر
١٩٤٠م

الناشر
نشرت في مجلة Belleten

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

كلمة :

الدراسات التاريخية في العراق تؤدي بنا حتماً الى لزوم الالتفات الى شعوبه وأوصافهم، وسجاياهم، وسائر نفسياتهم ... فلا يكفي أن نعرف وقائعهم السياسية أو الحوادث العامة . والترك من الشعوب التي امتزجت بالأهلين واتصلت بهم . وردوا العراق أيام الدولة الأموية ، وتكاثروا في الدولة العباسية ، فدامت علاقتهم أمداً طويلاً ، وكان تأثيرهم كبيراً ، وضعهم مهماً من ناحية السياسة ، وتولي زعامة الجيش .

والمناصب

والمناصب الأخرى ... ولا يزالون منبثين في أنحاء العراق .

ومعرفتهم من الناحية السياسية والعسكرية لا تغني عن الاطلاع على أحوالهم الاخرى ، بل من الضروري دراستهم ، ولا يكفينا أن نقرأ رسالة الجاحظ التي كتبها إبان سطوتهم وتمكنهم في الجيش . فرأينا ان نلتمس مراجع ووثائق عديدة تنبئ عن حقيقة هذا العنصر في العراق . والا كان تعرضنا للوقائع الخاصة أيام المغول والتركمان ناقصاً . فرأينا أن يكون همنا مصروفاً إلى الاطلاع على ما كانوا عليه كسائر الشعوب التي حلت العراق من العناصر غير العربية للعلم بمكانتهم في هذه الدولة وكافة أوضاعهم ونفسياتهم .

تيسرت لنا وثائق عديدة ودونا مذكرات متنوعة مما تهم معرفته ، وأفردنا بحثاً خاصاً بهم في (تاريخ الشعوب العراقية) ، وكل ما يقال عنهم الآن أنهم كانت لهم المنزلة في الدولة ، والقول النافذ ، ولهم أوصاف أثنوغرافية مهمة تستحق التدقيق والنظر ...!

وفي اثناء البحث عثرت على رسالة (ابن حسول) في تفضيل الاتراك على سائر الأجناد نعد

من الوثائق الجليلة ، وهي من أقدمها بعد رسالة الجاحظ ، وعرفت بشعب تركي أعني به آل سلجوق ، وبجندهم ، وحكومتهم في اوائل نشأتهم ، فكانت خير رسالة من جراء ان الدولة السلجوقية حكمت العراق مدة وخلفت اثرًا مشهودًا في تاريخه ...

وموضوع هذه الرسالة لا يقتصر على تلك الأوصاف بل أبانت عن أصل الدولة السلجوقية والدولة الديلمية ، وقابلت بينهما ، واشتملت على نقد تاريخي عزيز المنال لم يكن يتيسر لنا ما هو من نوعه ، وفيها بيان واف عن أسباب تأليف تاريخ (التاجي) للصابي . ومكانته العلمية من الجرح والتعديل أو النقد التاريخي في ذلك العصر ، يضاف الى ذلك أمر مهم آخر ، وهو تعريفها بشعوب الديلم والجيل وحكوماتهما القديمة حتى تكوين آل بويه الأخيرة ...

ذلك ما دعا أن أتناول هذه الرسالة وأترجم مؤلفها وأعين مكانته ، وأقوال المؤرخين من معاصرين وغيرهم فيه بقدر ما تسمح النصوص التاريخية ، وأعلق عليها ايضاحًا لبعض غوامضها مما رأيت فيه الفائدة ، أو بصّرت بمراجع لمن أحب البسط ، وبوسع القارئ

أن يتعقب نواحي النقص تكميلاً لما هنالك . ومباحثنا تقتصر على :

١ ـ وصف النسخة ومنطوياتها .
٢ ـ التعريف بمؤلفها (ابن حسول) .
٣ ـ (الصابي ـ ابن حسول) ، أو النقد التاريخي .
٤ ـ خلاصة وخاتمة .

* * *

أ ـ وصف النسخة (تفضيل الأتراك)

قال الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني (١) :

« عورض بالأصل المنقول منه ... في ذي الحجة سنة ٦٤٩ هـ ... » وكانت كتبت بمكة المكرمة كما يستفاد من النسخة الأصلية (نسخة الصغاني) ، وفيها خرم في بعض المواطن فلم تقرأ جيداً ... ألفها أبو العلاء ابن حسول ، وقدمها الى السلطان طغرل بك السلطان السلجوقي ، ومدح بها الوزير عميد الملك الكندري ، وبين فيها أوصاف الترك ، وخصائصهم وعرف بالبويهيين وأصلهم ، وعين مكانة صاحب (التاجي) ، ونقد تاريخه ...

(١) ترجمته في (منتخب المختار في علماء بغداد) ص ٤٨

وهذه الرسالة كتبت بلسان أدبي، عارض بها مؤلفها كتاب (التاجي)، وأوضح أن الترك الذين تغلب عليهم آل بويه لم يرقدوا على وتر، وأنهم من طبعهم الجندية والحروب وفضلهم على الديلم من وجوه عديدة... فكانت قيمة بيانه فائقة، وأدبه جماً.. ولا أدل على الرسالة من مراجعة نصها... أبدع المؤلف ببلاغته وفصاحته، وأبان عن قدرة أدبية، تؤيد ما جاء عنه في ترجمته لمختلف الأدباء والمؤرخين، فهو بحق لائق للاطراء...

ذكر صاحب كشف الظنون هذه الرسالة إلا أنه لم يرها ليصفها، وانما اكتفى بالإشارة اليها، ولم يعترف بنقله لنرى مرجعه الذي اعتمده، فقد حاولنا أن نجد لها ذكراً في مؤلفات عديدة فلم نظفر ببغية... فهي من أجل الآثار الأدبية لذلك العصر، وأعز ما وجد عن شعب له الذكر المتواتر في تاريخ العراق، والاتصال بوقائع جليلة.

قال المؤلف:

« ولنذكر الآن حال هذه الأمة أعني الترك في طباعهم، وشيمهم وأحوالهم، وطرقهم وأنحائهم وسبلهم

غير معطين إياهم ما لا يستحقونه ، ولا سالبين منهم ما يدّعونه ، ولا ذاهبين مذهب التعصب لهم وعليهم ، والتقرب إليهم وبهم . فكتابنا هذا يعرض على نقاد المعاني والألفاظ ، بل نقاد اللمحات والألحاظ ، وقد استعذنا بالله من الرياء المنهي عنه في سائر الشرائع والنحل في كل أوان وزمن ... » اهـ

وفي هذا ما يعين مكانة هذه النسخة ، وللقارئ حكمه فيما يرى أو يتظاهر له عما إذا كان قد وفى بعهده ، أو فارق شرطه ... وقد عرضه على النقاد ، فلا أودّ أن أسابق في إبداء الرأي ، ولكل حق الاحتفاظ بما يقطع فيه بنتيجة المطالعة ، ولكني أقول إن المؤلف تعرض لأمور لا يستغنى عنها من زاول التاريخ ، وقل أن نجد من التفت إليها ، ويعد من خير الوثائق في قطرنا ... كما أنه يعين الفكرات المتماسكة ، وطريق الانتصار لها من لسان ذي خبرة ...

وهذه النسخة وحيدة ، عثرت عليها بين كتب الأستاذ الكرملي[1] وهي نسخة الصفاني عالم

(١) الأستاذ من الشخصيات العلمية النشيطة في العراق ، وخزانة كتبه من أجل الخزائن في بغداد .

العراق المشهور، فقد قضى فيه زماناً طويلاً، فأ بلته
على الأصل بعناية زائدة ... نالها المحو في بعض المواطن
صححتها قدر المستطاع ...

٢ ـ التعريف بابن حسّول :

هذا هو نص الصابي وضده، نقد تاريخه،
وبيّن أوجه غلطه ... وكان من مشاهير رجال السياسة
والرياسة، والقلم الأديب، ذاع صيته في أيامه
عرف في عهد آل سبكتكين، وإبان نهضة آل سلجوق
في بلاد الري، كان رئيس الديوان ...

ترجمه جماعة من معاصريه . قال في تتمة اليتيمة
« هو الاستاذ ابو العلاء محمد بن علي بن الحسن[1] صو
الحضرتين، أصله من همذان، ومنشاؤه الري، وأبوه ابو
القاسم من يضرب به المثل في الكتابة والبلاغة ... وابو العلاء
اليوم من أفراد الدهر، في النظم والنثر، وطالما تقلّد
ديوان الرسائل، وتصرف بالأعمال الجلائل، وحين طلعت
الراية المحمودية بالري أجل وبجل، وشرف وصرف، وأنهض
بصحبتها الى الحضرة بغزنة ... ولما ألقت الدولة المسعودية
شعاع سعادتها على مقر الملك، ومركز العز، زيد

(١) الصواب ابن حسّول لا الحسن.

في اكرام

في إكرام ابي العلاء ، والإنعام عليه ، وأوجب الرأي أن يرد الى الريّ على ديوان الرسائل بها ، فخلع عليه ، وسرّح أحسن سراح ، ولقيته بنيسابور فا قتبست من أنواره ، واغترفت من بحره ، وهو الآن بالريّ في أجلّ حال ، وانعم بال ... » اهـ . (١)

وجاء عنه في دمية القصر ما نصّه :

« ... من علية الكتّاب ، والداخلين على أنواع الفضل من كلّ باب ... لقيته بالريّ في داره بقرب زامهران ... وأنشدني قصيدتي :

يا حادي العيس رفقاً بالقوارير

وقف فليس بجار وقفة العير ... » اهـ

وذكر رسالة في تفضيل الحر على البرد ، فناقضه برسالة على الضد ، وبيّن أن ذلك كان بالريّ سنة ٤٢٣ هـ .

وضبط الصفدي في الوافي بالوفيات ابن حسول على وزن فرّوج وقال سمع ابو العلاء من الصاحب ابن عباد ، ومن أحمد بن فارس صاحب المجمل في اللغة ، وانه توفي سنة ٤٥٠ هـ .

وهكذا نعته المؤرخون بأعظم الأوصاف

(١) تتمة اليتيمة ج ١ ص ١٠٧ .

وأخلته الحكومات على اختلافها المحل اللائق . والعلماء والادباء والشعراء ، فكان من النوابغ في النظم والنثر . وفي (زاخة الصدور) من تعليقات الاستاذ محمد اقبال تفصيل وتذكير بالمراجع عن حياته . . .

ومن اللطف ما قيل فيه قول أبي محمد طاهر بن الحسين المخزومي البصري :

قالوا وداد أبي العلاء يحول
كالظل يقصر مرة ويطول
فسأستشف لقاءه فأميل في
وصل وهجر منه حيث يميل
فاذا دعاني بشره قاربته
واذا تجعد فالعزاء جميل[1]

ولابن حسول نفسه :

جذبت كفي الغدائر منه
فشممنا منها نسيم العرار
ألثم الصدغ والسوالف منه
احتجاجا بأننا في سرار[2]

ومن شعره يداعب ابن الختان وهو يخضب :

(١) تتمة اليتيمة ج ١ ص ٦ . (٢) تتمة اليتيمة ج ١ ص ٩٥ .

سنى

سني كسن أديب الـ * ـعراق زين الظراف *
ست وستون عامًا * ما بيننا من خلاف *
لكن شيبي باد * وشيبه في غلاف[1] *

ويطول بنا ايراد ما هنالك مع العلم بأن الثعالبي الذي ذكره في كتابه تتمة اليتيمة قد توفي سنة ٤٢٩ هـ ... ومن ثم نقدر شهرته بعد ذلك، وذيوع فضله في الدولة السلجوقية ... ولـ ابن غنم معروف، وهو أوحد الملك أبو طاهر الحسن بن احمد بن حسول، وهناك ما يعين صحة اسم حسول.[2] واعتقد أن في هذا كفاية للتعريف به مع الاشارة الى أن صاحب (زبدة النصرة ونخبة العصرة) العماد الاصفهاني اختصار البنداري قد أشار الى بعض أحواله ... وأما ما في ترجمته فتبسط عنها رسالته، تبين عن قدرة وطول باع، وتنم عن بيان في الخطاب قوي الحجة، صريح العبارة ...

٣ــ الصابي وابن حسول (نقد التاجي):

التاريخ لا تظهر حقائقه، ولا تتضح وقائعه

(١) دائرة المعارف لبستاني ج ١ ص ٤٤٥ ، (٢) تتمة اليتيمة ج ١ ص ٤٠٠ .

في حينها وخاصة السياسية منها الا قليلاً لما يداخلها من حالات ، ونحوط بها من ظروف ، ونخطأ كثيراً اذا عولنا عليها باعتبارها معاصرة ... والكلمات الخفية تذيع في الخفاء ، والأخبار تنتشر على لسان الغير من طريق السياحات العلمية ، والحج أو التجارة ... وهناك اختلاف وجهات النظر في التبليغ ... والمعول عليه خبر الثقاة العارفين مع استماع أقوال النقاد وبياناتهم وتمييز ما هو خليق بالرعاية والقبول ... ولولا ذلك لماتت أخبار كثيرة ، أو تشوشت ، والخوف من بطش المستبدين والضغط قد يدوم ، والحكومة قد يطول عمرها ...

ولا نتوغل في العموميات بل نقول لما ورد عضد الدولة بغداد سنة ٣٦٧ هـ نقم على الصابي أشياء من مكتوبات فاعتقله ... ومن ثم يسئل فيه وعرف بفضله ، وقيل له مثل مولانا لا ينقم على مثله ما كان منه ، فانه ولي خدمة قوم لا يمكنه إلا المبالغة في نصحهم ، ولو أمره مولانا بمثل ذلك في أبيه ما أمكنه المخالفة ، وتلطفوا في ذلك فعفا عن قتله . وبين انه ان عمل كتاباً في مآثر آل بويه وتاريخهم أطلقه ...[1] !

(١) ياقوت ، ارشاد الأريب .

وكان قبض عليه في ذي القعدة من سنة دخوله بغداد ، ومكانة الصابي معلومة ، فقد كان في زمانه أوحد الدنيا في انشاء الرسائل لحد أن قيل في المفاضلة بينه وبين الصاحب بن عباد ان هذا «يكتب كما يريد ، والصابي يكتب كما يراد » ، فهو أستاذ النثر الأدبي وشاعر أيضا ، وكان ينوب عن الوزير ابي محمد المهلبي في ديوان الانشاء وأمور الوزارة ، كتب الانشاء عن الخليفة ، وعن معز الدولة بختيار ، وكان قد تقلد ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ هـ

شرع في محبسه بتأليف كتاب (التاجي) في أخبار بني بويه ، وهو موضوع نقد ابن حسول . عمله في الدولة الديلمية ، فكان اذا أتم جزءاً منه حمل الى الحضرة العضدية حتى يقرأه ويتصفحه ، ويزيد فيه ، وينقص منه فلما تكامل على ما أراده حمل الى عضد الدولة كاملاً ، فيقال أنه قرئ عليه في اسبوع ، وتركه في الحبس بعد ذلك سنة ، فاطلقه في جمادى الاولى سنة ٣٧١ ومما يعزى الى بقائه في السجن والسخط عليه ثانية انه قيل دخل عليه بعض اصدقائه الحبس وهو في تبييض وتسويد هذا الكتاب ، فسأله عما يفعله

فقال : « أباطيل أنمقها ، وأكاذيب ألفقها » ، ومهما كانت درجة هذا القول من الصحة سواء قاله بجد، أو بهزل، أو تقول به خصومه عليه فلاشك انه شاع على لسانه، وصار يحكى عنه ماوقع ، وان لم يكن صادراً منه حقيقة ...

ومن ثم عرفت الظروف المحيطة بوضع هذا الكتاب (التاجي) وصاحبه الأديب الفائق في البيان، ذو القدرة الفلبة التي طبقت الآفاق . واذا كان متقناً ناحية الأدب فهل يعتبر مؤرخاً ، أوهل يقال عنه الكثر من أنه كان يكتب كما يراد منه ؟ أوهو كاتب رسمي يمثل الرغبات المتباينة ، والأوضاع المتخالفة ... ؟!

انتصب ابن حسّول لتحليل الكتاب وبيان أسبابه وعلله اودواعي وضعه فقد نظر الى مواطن الضعف يدقنها ، وهاجم الكتاب مهاجمة علمية غير مسبوقة في بابها ، مستندة الى قوانين (الجرح والتعديل) ...

هنا يتجلى لنا النضال هذا النقد بين عنصرين متضادين تنازعا السلطة هما الترك والديلم ، وهذا أشبه بما نراه بين العنصريات الآرية والسامية ، والشرقية والغربية ، فكان يتعصب كل فريق لجهته ، ويناضل عن رأيه كما يحارب لسلطته ويتخاصم لجنسيته ،

إلا أن خير الآراء ما دعمتها الوثائق الصحيحة، والنقد الحقيقي المستند على الواقع ...

نرى التعرض يمضي لا لإظهار العداء وحده، بل يتجاوزه الى التفاخر في الأنساب، وتفضيل المتسلط، ومناصرة قومية بمطالعات خاصة أوحتها المباحث والأوصاف ذات المساس في الحياة الاجتماعية في أمر طالما دعا الى التفكير، فهذه المسألة تعد في هذه الأيام من أمهات المسائل، ولا مس الوتر الحساس فيهيج، أو يتأثر الباحث الاجتماعي لما تلهم من أوضاع ... ولكن بعد العهد، وانقطاع الصلة، وعدم وجود علاقة مباشرة مما يسوق الى التجرد، والتدقيق ببرودة دم واعتدال ...

وفي هذه المفاضلات استخدم السلاح العلمي، فانتصروا أولاً للبويهية، أو نعتب تاريخها وعدد فضائلها، ولم يقف عند الصابي الأول. وانما تناول حفيده الهلال صاحب تحفة الوزراء والتاريخ، ثم ابن حفيده غرس النعمة صاحب (رسوم دار الخلافة[1]) و(الدولة البويهية) ... فلم نصد

(١) رسوم دار الخلافة ص ١٥٠ و ٢٠٨، تأليف أبي الحسين =

هذه الأسرة نكبة جدها أبي إسحق .. عاشت حكومته، وراعت رسميتها ... ولا ينكر ان الصابي هذا أثار الحفيظة، فانتصب له ابن حسّول، وأراد ان لا يروج التمويه والتزويق، والانتصار لهذه الحكومة البويهية بالحق والباطل ...

هذا واليوم سكنت الهائجة بانقراض الدولتين، وزالت الاغراض بانقطاع الآمال، وصارت الحكومتان في خبر كان، فلم يبق أمامنا الا قبول الحقيقة وان أورد بعض ما جاء في هذه الرسالة. قال ابن حسّول يخاطب عميد الملك الوزير المعروف بالكندري:

« ذكرت — أبقاك الله — حال الكتاب المعروف بالتاجي وما راقك من محاسن لفظه، وبدائع رقمه، وأعجبك من استقرائه أخبار الديلم وأنسابها، وابتداء دولتهم وأسبابها، وذكر مواقعهم في الحروب التي أوقدوا

= هلال بن المحسن الصابي كتبه أيام القائم بأمر الله ونسخة الوحيدة وجدت في الأزهر، وفيها بعض الحك والخرم لقدمها منها نسخة مستنسخة في مكتبة دار الآثار العراقية وهي من أنفس ما عثر عليه من الآثار التاريخية المتعلقة بالعراق، وجدها الصديق الفاضل الاستاذ ناجي معروف عضو البعثة العراقية في باريس.

نارها

آثارها، والمفاخر التي أظهروا آثارها... توصلاً إلى ايضاح ما قصده اليه، ومدار كلامه عليه من الثناء على الملقب بعضد الدولة... والاطراء بكل ما علمه أو جهله، حتى ادعى له الكمال... وحتى شاب الحق بالباطل، والصدق بالكذب... ،وأطال الكتاب إطالة من أمن اعتراض معترض على قوله، ومناقشة مناقش في حكمه...» اه.

وهذا قليل من كثير، فقد تسود في صدر الرسالة من فتنة القول والعمل... ومن جائحة الزور والكذب... ومن قبح المراء والرياء... وهكذا حذر نفسه من آفة الهوى، والانباء عما لم يحط به خبرا... حتى سأل الله العصمة فيما يبديه ويعيده... والامانة فيما يخفيه ويظهره، والتسديد فيما ينقله راويا، واياه حاكيا... وبذلك بين صفات المؤرخ الصادق، وندد بالمزور الكاذب... فالتزم أن يكون مراعيا الذمة بصدق القول فيما يبديه ويعيده...

ثم اعتذر للصابي وبرر سلوكه الذميم لما رأى من ضرورة توكيدا لما قام به من الاختلاق فقال:

«ولعمري انه غير ملوم في اختياره وقصده،

فانه مني من عضد الدولة بمن أخافه على مهجته، ونجعه

بثمنه ، وحقد عليه اللفظة ... وانطوى على الحقد للصابي والبغضة ... فحين تم لعضد الدولة ما تم من الظفر .. أهم الصابي نفسه ، وأزعجه رعبه ، وصنف هذا الكتاب استعطافا بعضد الدولة ... واستنقاذا لروحه ... » اهـ .

استرسل ابن حسول في قالته عن الصابي ، قال : « ونعته بنعوت كان الأولى ان لا يقبلها عضد الدولة منه ، فغالط في نسبه ... وشهد له بالوفاء ولقد غدر والتقى وقد فجر ... » اهـ .

مضى في سبيله هذه ، وتحامل عليه في نسبة الديلم الى بني ضبة ... ثم تكلم على التعريف بالديلم ومنه لوصل الى ذكر الترك والسلاجقة ، وعين مكانتهم ... فكان قوي الحجة ، صريح الفكرة ، وأطنب في فضائل الترك وخدماتهم للاسلام ، فلم يترك قولا لقائل ...

قدم كتابه هذا الى الشيخ عميد الملك وطلب اليه أن يقدمه للسلطان طغرل السلجوقي ، والموضوع تاريخي ، ولكنه صدر من قلم أديب فائق ، وعقل كبير ...

ولا يهمنا الا تثبيت الحالة الراهنة ، وما
يتعلق بالنقد التاريخي ، ومن ثم نرى درجة المجاسبة
ومقدار أثر الكلمة ... لا الاطراء والتنديد المجردين ...
ورب قول أنفذ من وصول .

قال ابن خلدون :

« وأنا باذن الله موضح ذلك ليعلم معه
انصافي في الحكومة ... وأستشهد بالحق الذي لاغطاء
دونه ، والدليل الذي لاريب فيه ومعه ... وقد
علم كل من نقلة الأخبار ورواة الآثار ان الديلم والجيل
كانتا فرقتين حيث هما من بلادهما المعروفة ، وموضعهما
المشهورة ... وما سمع قط منهم ... أنهم من ضبة
ولا عرف في الاسلام والجاهلية تاريخ انتقال ضبي إلى
ديارهم ... ولا رهق بني ضبة بلاء الجأهم الى الجلاء
عن أوطانهم من العراق والشام وجزائر العرب
في نواحي المغرب ... ولو وجد الصابي طريقاً الى ادعاء
نسب قريش لهم لادعاه ... ومعلوم تباين العرب
والعجم في أنسابهم ... » اه

وفي خلال ذلك تكلم على أصل الديلم كلاماً
مهماً وعرف بهم تعريفاً شافياً مما لم نجده في غيره

اصل الديلم
والجيل

من الباحثين المعروفين في عصرنا... فجاء مكملاً لما قاموا به على ما سنأتي الاشارة الى ذلك...

ثم ذكر المؤلف أمة للمترك بالوجه المذكور وبعد ذلك كله تكلم على الوزير عميد الملك وهو من اكابر الرجال في العلوم والآداب والفلسفة والادارة والسياسة والحنكة لحد أنه عدة في كل فن كأنه واحده مما جاء مؤيداً لأقوال المؤرخين العديدين في أوصافه ومزاياه مما لا محل لتفصيله... ومطالعة أصل الرسالة تغني عن بيان قيمتها العلمية والأدبية...

٤ — خلاصة وخاتمة :

من ملاحظة ما مر عرفنا اختلاف وجهات النظر . فالصابي قد لامس الموضوع ملامسة خبير ، راعى السياسة بكل نقاطها ، وتكلم بلسانها ، فتمكن من ارضاء عضد الدولة ، ورغب القراء فيه من ناحية القدرة الأدبية ، وبذلك اكتسب رضى الاثنين ، واستهواهما بلاغته والسياسة تريد ما يفوق باطلها من لغة واضحة وبيان مرضٍ ... فكان كتابه من أقدم المراجع التاريخية وكان يصلح للمقابلة لو أن الأيام أبقته ، والنقد الموجه مما يميط عن الحالة ولا يكتفي بالشيوع بل أنه طلب العفو

عن

عن الصابي وبيان أنه رجل حكومة من الكبر المقصود
بالتاريخية ...

وعلى كل حال ان الاقوام لكل منها خصائل
يصح أن تكون لائقة بالأخذ ، ولازمة الرعاية
والاعتبار ... وتتفاوت الأقوام بما تسديه من
خدمات للحضارة وصالح الأعمال ، وان تضرب مثلاً
قياسيًا للأخلاق العالية ، والسلوك المرضي ... وإلا
فلا يفضل قوم قوماً ، وان القوميات واسطة مهمة
للتعارف والاجتماع ... بل حب القومية يجب ان لا يكون
واسطة لتوليد العداء من جراء نفس القومية فلا يصح
أن يعادى قوم لمجرد انه من القوم الفلاني ، وعلى كل امة
أن تتخذ الوسائل للتقرب والاخاء وان تنال حظها
من الحياة الحرة والرقي . وأن المبدأ الاسلامي احترم
القوميات ولم يعارضها . وعد قبول المبدأ الجليل من اكبر
وسائل الاخوة ، اما العداء فيجب ان يستند الى أسباب
معقولة ومقبولة ...

ومهما بالغنا في التحقيق ، وتوغلنا في التعمق
رأينا هذه الرسالة تستحق عناية لأمور تاريخية وأدبية
واجتماعية ... فقد برهن المؤلف في رسالته على أن الصابي

كان يكتب ارضاء للرغائب المختلفة بقدرة فائقة وانه كان يموّق ويلفق ويزوق في تاريخه ... فكانت الضربة عليه قاسية ... ومن أهم ما فيها النقد التاريخي وتعيين نقاط الضعف مما هو من المهام (الجرح والتعديل) وما يتطرق من وجوه النقص ... فقد أبدع الايراد، وأتقن التجريح، وقابل الحوادث بعرضها على المعلومات التاريخية والأخبار المنقولة، فكان موفقاً في بحثه، أبدى قدرة لا مثيل لها ... والتاريخ يجب ان يدوّن ما جرى لا أن يخبر بما يجري.

وبذلك علمنا صفحة عن هؤلاء الترك الذين عاشوا معنا، واختلطوا بنا اختلاطاً مكيناً واتصلوا اتصالاً تاماً، وشاركونا في عقائدنا ومجتمعاتنا. فنحن في حاجة الى الفروق الأساسية بين الأقوام مما لا يقل عن تدقيقات وبحوث هذه الأيام نفسياً واجتماعياً.

اكتفي بهذا . والله ولي الأمر

بغداد المحامي عباس العزاوي



كتاب
تفضيل الأتراك على سائر الأجناد
و
مناقب الحضرة العالية السلطانية
حرس الله جلالتها
والسدة السامية العمرية
الملكية حرس الله
دولتها

تصنيف الوزير أبي العلاء بن حسول

رحمه الله تعالى

م





كتاب
تفضيل الأتراك على سائر الأجناد
و
مناقب الحضرة العالية السلطانية

حرس الله جلالتها السامية

التمرية الملكية

حرس الله

دولتها

تصنيف الوزير أبي العلاء بن حسول

رحمه الله

م



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين.

اللهم اني أعوذ بك من فتنة القول والعمل، وهجنة الخطأ والخطل، ومن العثار والزلل، ومن جائحة الزور والكذب، وبائقة الغيظ والغضب، ومن قبح المراء والرياء، واطراح الرقبة والحياء. وأعوذ بك من آفة الهوى ومحنته، وسلطان الحرص وقدرته، والإنباء عمّا لم أحط به خبراً، ولم أتقنه علماً، ولم أعرفه يقيناً، ولم أفهمه تلقيناً، وأعوذ بك من الخوض فيما يعتذر منه المنجي، والتعرض.

لما يتمادى فيه البلوى، والإسفاف لما يوتغ دينًا ومروءة، والهجوم على ما يقتضي تقريعًا ويوجب مذمّة.

سؤال العصمة والتوفيق الى الصدق (المؤرخ الفاضل)

وأسأل اللّه العصمة فيما أبديه وأعيده، والتوفيق فيما أبنيه وأشيده، والصدق فيما أحكيه وأورده، والأمانة فيما أخفيه وأظهره، والتسديد فيما أظل له راويًا، وإياه حاكيًا. حتى لا ألحظ بعين الظلم وغرض الإنصاف، ولا أوزن بميزان المشتط ومطلي الكفاف، ولا أقف موقف من باع آخرته بدنياه، وعدل عن رأيه لهواه، وقصد الى التنفق عند قوم ينتقص آخرين، والتحامل على غيّب بالتوافي لحاضرين، وازدراء من طوتهم المنية زجاءً لاحياء مؤمّلين، فكل ذلك مذموم في الفطرة، ومعدود من العثرة، ومنسوب الى لؤم الظفر. والميل مع الرجحان، والمساعدة لأحكام القدر، بل لا يستجيز هذه الحال إلّا متهم في دينه، مأخوذ عن رشده، متماد في غيّه، متعدّ لطوره، متجاوز لقدره.

التاريخ المعروف بالتاجي

ذكرت أبقاك الله حال الكتاب المعروف بالتاجي[1]

(1) في أخبار الدولة الديلمية لأبي اسحق ابراهيم بن هلال الصابي المتوفى سنة ٣٨٤ هـ الفه لعضد الدولة ونسبه الى لقبه (تاج الملة) كتاب بليغ العبارة، ذكره ابن خلكان، ومثله في كشف الظنون.

لابراهيم بن هلال الصابي وما رأيت من محاسن لفظه . وبدائع رقمه . وأعجبني من استقرائه أخبار الديلم وأنسابها ، وابتداء دولتهم وأسبابها ، وذكر مواقعهم في الحروب التي أوقدوا نارها ، والمفاخر التي اظهروا آثارها ، والمقادير التي ساعدتها على الارادة . والمقاليد التي ملكوها بصنوف السعادة ، والمقامات التي قاموها في نزال الخصوم ، وإذلال الخطوب ، ومباشرة الحروب . وملاقاة الأقران ، ومصاولة الزمان . لوصلة الى ايضاح ما قصده اليه ، ومدار كلامه عليه ، من الثناء على الملقب بعضد الدولة[1] بن ركن الدولة . والتقريظ له . والاطراء بكل ما علمه أو جهله . حتى ادعى له الكمال الذي ليس لغير الله جل وجهه ، والاعجاز الذي خص الله به انبياءه ورسله عليهم السلام ، وخصوصا محمدا صلى الله عليه وعلى آله وحتى شاب الحق بالباطل والصدق بالكذب ، والتشديد بالمساهلة ، والمسامحة بالمضايقة ، وأطال

(١) لقبه الخليفة الطائع لله بتاج الملة (الدولة) مضافا إلى عضد الدولة حينما دخل بغداد سنة ٣٦٧ هـ فكان أول من لقب بلقبين ، (رسوم دار الخلافة - ص ١٤٤ ، وهنالك الرسوم التي اجريت له (١٢٠ : ١٢١) .

الكتاب

تعرض لكتاب التاجي للصابي

الكتاب المالة من أمن اعتراض معترض على قوله ، ومناقشة مناقش في حكمه .

ولعمري انه غير ملوم في اختياره وقصده ، فانه مُني من عضد الدولة بمن آخافه على مهجته ، وفجعه بنعمته ، وحقد عليه اللفظة التي كتب بها عن الطائع رحمه الله الى عضد الدولة بفارس حين همّ بالمسير الى بغداد منزعجا ابن عمه بختيار الملقب ب (عز الدولة) ابن معز الدولة عنها ومنافقا إياه في حضرة الخلافة ، وقد اشتد بالأمر والنهي فيها ، ومعاقباً له على هنات سبقت أيام ركن الدولة بينهما ، واتفقت عليهما وطمعا . وهي إنّا قد لقبنا عز الدولة بشاهنشاه فتزحزح له عن سنن المساواة ، فضاق عضد الدولة ذرعًا بهذه اللفظة ، وأنف من هذه الجفوة ، وانطوى لها على الحقد للصابي[1] والبغضة ، وعلم ان الصابي آثرها وأثارها في حكم صناعة الكتابة دون أن يكون الطائع لله أو لعز الدولة صنع في اختيارها ، وتهدّي الى مضمنها وعارها . فحين تمّ لعضد الدولة ما تم من الظفر بعز الدولة وقتله ، وأباح

(١) ترجمته في ابن خلكان ج ١ ص ٨٧ ، وارشاد الأريب لياقوت الحموي .

الاشارة الى ان ... لقب ... صوتي ...

تفسير ... نقمة عضد الدولة ... على ابراهيم بن هلال الصابي .

عصمته بسفك دمه، أهم الصابي نفسه، وأزعجه رعبه وصنف هذا الكتاب استعطافاً بعضد الدولة بعد أن أشفى على عطبه، واستنقاذاً لروحه من نابه ومخلبه ثم لم يبال بان يطيل نفس الكلام بعد أن يأمن روعة الحمام، ويعاد الى رتبة الاستخدام، فزاد ونقص، وأسبغ وقلص، وهجا ومدح، وضن وسمح وطار ووقع، وخمد ولمع، وقد كان من حق عضد الدولة ان يتفادى من مدح لايرى في نفسه أثره ولا يجتنى من ملكه ثمره، ولا يغبن في عقله، وقد غولط في نسبه وأرخى من عنانه ولببه، وشهد له بالوفاء وقد غدر، والتقى وقد فجر، والحلم وقد مرق عن اهابه، والحفاظ وقد عري من جلبابه.

المؤلف وما التزمه

وأنا باذن الله موضح ذلك ايضاً ليعلم معه انصافي في الحكومة، وصدقي عن الصورة، واستشهد بالحق الذي لاغطاء دونه، والدليل الذي لاريب فيه ومعه، وللمشاركين في علم هذه الحال من الاضراب والاشكال، وقد علم كل من نقلة الاخبار، ورواة الآثار ان الديلم والجبل كانتا

الديلم والجيل وفروعهما

فرقتين حيث هما من بلادهما المعروفة ومواضعهما

المشهورة

المشهورة، واو لسانهما المألوفة. والجيل[1] ضروب وقبائل تتشعب غصونهما وتختلف فنونهما، على ان الديلم فرقتان وهما الاستانية واللانجية. فاما الاستانية فهم الذين يسكنون الاوعار والحصون والجبال من بلاد الديلم، ولم يزل ولاتهم الوهسودانية[2] والتي لهذه الغاية.

اللانجية والجستانية

واما اللانجية فانهم يسكنون صحاريها، والسهل من بلادها ولم يزل ملوكهم الجستانية[3] وهم في تملكهم

---

(١) المؤلف هنا لم يعدد قبائلهم. وفي تاريخ جهانكشاي جويني أوضح مطالب مهمة عن بلدانهم، واماراتهم القديمة... والشيخ عبد القادر الجيلي صاحب الطريقة القادرية ينتسب الى الجيل هؤلاء، فيقال جيلي. وفي اوليا چلبي انه من أهل گيل في العراق التابعة للواء كركوك. (٢) وردت في التاريخ بلفظ وهسوذانية بالذال. (٣) الاستانية واللانجية لم يوضح المؤرخون قبائلهم هذا التوضيح. وبين المؤلف ان ملوكها (الجستانية)، و(الوهسودانية) وفي كتب التاريخ والبلدان تدوينات عنهما. وقد جمع السيد احمد الكسروي في كتابه (شهرياران گمنام) جملة منهم، وحاول ايجاد سلسلة بجمعهم فلم يفلح خصوصاً بعد ان علمنا من هذه الرسالة ان (الوهسوذانية) و(الجستانية) امارتان والسلطة موزعة بينهما فلم يصح مزجهما ولم يبعد في الامكان التفريق وتعيين الجستانية والوهسوذانية ولا ارجاع (آل مسافر) الى إحداهما كل هذا.

على هذه الجملة ، وكانوا على الكفر الى ان توسطهم الاشراف العلوية الذين حصلوا بين اظهرهم ، وأشاعوا الاسلام فيهم ، ودعوهم الى دين الله ، وسنة رسول الله محمد صلى الله عليه ، واعتقاد إمامة علي بن ابي طالب عليه السلام دون الصحابة ، وتفضيله على الجماعة ، فلهذا الكثرهم على الشيعة والأقل منهم يذهبون مذهب السنّة لما خالطهم علماء الاسلام من الحنفية والشفعوية . والغالب على الجبل السنة فانهم أقدم اسلاما ، وعلى الديلم التشيع فانهم أسلموا على أيدي الناصرية[1].

اكثر الديلم شيعة

اكثر الجبل سنية

= لم يعرف ومن ثم نرى نقص التدقيقات للاستاذين الفاضلين الكسروي والقزويني ظاهراً كما لا ينكر لهما الفضل في تقريب النصوص .(راجع جهانكشاي جويني ج ٣ ص ٤٣٢ - ٤٤٠).

(١) وهؤلاء عاصروا الجستانية والوهسودانية . ورد ذكر جماعة منهم وهم حسن بن زيد الحسني ، ويعرف بالداعي الاول ، ومحمد بن زيد (أخوه) وهو الداعي الثاني ، والحسن بن علي الحسني المعروف بـ (الداعي الصغير) وتفصيل وقائعهم منتشر في تواريخ عديدة ومن أجمعها ما بينه الاستاذ القزويني في جهانكشاي جويني ج ٣ ص ٤٣٢ وما يليها . وكانت خدماتهم في نشر الاسلام هناك كبيرة جداً ، وما جاء في المتن منه الايضاحات لم نر نظيره في النصوص المعروفة .

وكان من حق الفريقين علماء السنة والتشيع أن يعلموهم مكانهم من دوحة رسول الله صلى الله عليه في العرب وكرم المحتد والمنصب، وان يفتخروا بذلك في اشعارهم ودعاويهم اذا انتسبوا في الحرب وعند نزال الخصم وعلى أقرانهم الذين عروا من هذا الشرف، وما سمع قط ذلك منهم، ولا دار في خلدهم ولا تسموا به في جدهم ولعبهم، وشعرهم وخطبهم، ولا متعض حصفاؤهم من هجاء من هُجي من ضبة، ولا اعتدوا بما عدّ من مفاخرهم، ولا انقبضوا مما ذكر من مثالبهم، ولا عرف في الاسلام والجاهلية تاريخ انتقال صبي الى ديارهم لحصوله في مناخهم وجوارهم، ولا رهق بني ضبة بلاء الجأهم الى الجلاء عن أوطانهم من العراق والشام وجزائر العرب في نواحي المغرب. فلأن كلهم سعدوا بمعاوية بن أبي سفيان وخرجوا معه للطلب بدم عثمان رضي الله عنه، وناصبوا الحرب عليا عليه السلام. والدليل على ذلك قول قائلهم :

قبيلة بني ضبة

نحن بني ضبة أصحاب الجمل * ننعى ابن عفان بأطراف الأسل
* ردوا علينا شيخنا ثم بجل *

وانما خصّ الصابئ هذه الطائفة بهذا النسب الذي

الصابئ وبني ضبة

نحلهم لان أنساب بني ضبة أوهى الأنساب ، وعددهم أكثر الأعداد ، ولبسرهم كقريش وتميم وطيء وقيس وخندف وعقيل اذ كانت من القبائل التي هي في بحبوحة العرب ، وفي ذروة الشرف من النسب ، ولو وجد الصابي طريقاً الى ادعاء نسب قريش لهم لادعاه ، وكان تحقق لعضد الدولة الامامة ، ونقر عليه الخلافة ، وكان عضد الدولة جديراً بأن يذرع هذا العز ، وهو منه عار ، ويبجح به وان لم يضرب فيه بنجار .

أوّل ظلم في الصابي

فأوّل ظلم في الصابي في هذا الكتاب أن نسب ذلك الوالي الى نسب مجهول ، ووقفه موقف مغرور مغمور ، ثم تناسى ما أوجب له من النسبة العربية حتى نزع به الى الدوحة الفارسية من بهرام جور ، ومعلوم تباين العرب والعجم في أنسابهم الا ما ذكر النسابون من التقائهما في ابراهيم عليه السلام فان العجم كما يقال من ولد اسحق ، ورسول الله صلى الله عليه من ولد اسماعيل ، ومنه قوله عليه السلام انا ابن الذبيحين يريد بهما اسماعيل عليه السلام وعبد الله أباه حين أراد عبد المطلب ذبحه حتى افتداه بنوق كثيرة حين

احيلب

احبك القداح في ذبحه أو استبقائه ، والتضحية به أو افتدائه .

الديلم

فان كانت الديلم على ما يقوله الصابي من العرب فهم من ذرية اسماعيل ، وبنا حاجة الى معرفة الجد الذي مال بهم عن شجرة رسول الله صلى الله عليه التي أطلعه عنها ، وشرفه بمكانه منها . فالأقرب الأقرب اليه صلى الله عليه أعرق شرفاً ، واوضح نسباً ، وأظهر افتخاراً ، وأكرم نجاراً ، وقريش بأسرها تلقى رسول الله صلى الله عليه في النضر بن كنانة ، فلذلك استحقت الامامة بقوله عليه السلام الائمة من قريش فأما بنو عبد مناف وهاشم وعبد المطلب فهم الأدنون من الأقارب والقرائب ، وقد افتخر صلى الله عليه فقال أنا ابن العواتك والفواطم ، وعاتكة هي ابنة عبد المطلب ، وفاطمة هي ابنة عبد مناف . فليت شعري متى افتخر الديلم بهذه القربى ، واعتصموا بهذه العرى وهل سمع بذكر الديلم الا في قصيدة عنترة العبسي حين يقول (١) :

زوراء تنفر من حياض الديلم (١)

(١) راجع معجم البلدان ، في مادة (ديلم) والمعلقة .

وذلك ان فيروز حين حارب العرب وغزاهم استصحب الديلم كما تستصحب الحشر من البلاد غراب الأجرب منهم جلدًا وثباتًا وحذروا من جهتهم كمينًا وبياتًا .

تشعب أنساب الفرس

والذي عليه العلماء والنسابة والتواريخ المتقادمة ان الملوك تشعبوا من عهد افريدون : فانه لما قتل الضحاك واستولى على ملكه والضحاك هو المسمّى بالفارسية بيوراسف، وللفرس في معناه خرافات يعتقدونها، وأباطيل يلتزمونها من ظهور ثعبانين على منكبيه كانا يعطفان عليه لدغًا ونهشًا اذا جاع الارقمان، وانهما كانا لا يتقوتان الا أدمغة البشر فكان يقتل في كل يوم شابان من الرعية لهذه الآفة التي مني بها، ومثل ذلك عند العقلاء مسترذل، والتصديق به مستهجن الا أن الرجل كان ظالمًا غشومًا، وجبارًا عنيدًا، فألحق به من الأوصاف خلقة وخلقًا كل ما اراد الرعية منه نفورًا، والخصم عليه ظهورًا، والتاريخ قبل الضحاك تراه غير مضبوط، وهمل غير محفوظ .

التاريخ الصحيح من عهد افريدون

وانما التاريخ الصحيح ما كان من عهد افريدون[1]

(1) ورد بلفظ افريدون وقدمنا ذكر افريدون بالوجه الصحيح وهو الصواب .

المستملي

المستولي على الدنيا. وكان أولاده تور وسلم وايرج.
فخص كلاً من الأولاد بشطر من الأرض التي ملك شرقها
وغربها وبحرها وبرها فأصاب سلم الروم وماوالاها
الى بلاد العرب، وأصاب ايرج واسطة الاقليم الرابع
وهي ازكى البلاد وأشرفها للعلل التي لو شرحناها
خرجنا من مغزانا في هذا الكتاب.

تور خص بالمشرق (جد الأتراك)

وخص تور بالمشرق ناحية الشمال الى منقطع
العمارة فيها، ان سلما وتورا تمالئا على ايرج فغلباه
وقتلاه الى ان ظهر منوجهر فطلب بدمه، واشتفى من
خصمه، وانتزع البلاد التي كانت ارثاً له واستبد
بها واستولى عليها، وانتسجت العداوة بين بني تور
وبني ايرج وهي الى يومنا باقية يتعاقب الفريقان
عليها، ويجددان المنسي منها لاسيما منذ سار
فراسياب الملك الى هذه الديار فدوخها، وزلزلها،
وجباها واستغلها، ولبث عشرين سنة ملكاً عليها
الى أن جمد صمده كيخسرو ورستم الزاملي فأزالا قدمه.
واتصلت العداوة منذ ذلك الوقت بين الجنسين
وكانت الأيام بينهما دولة، والحروب موصولة، وقد شرح
ذلك في الكتب عربية وفارسية ومنظومة ومنثورة.

نسب الأتراك

ومن جملة الأغراض في هذا الكتاب الدلالة على نسب الأتراك وأنهم أولاد ملك عظيم الشان ، قاهر السلطان ومن خوفه وخوف نسله بإيران شهر هذه الحصون حتى توارثها بعد القرون ، وكانت ايضا لبني

بنو سلم - الاسكندر

سلم من الروم الاسكندر المعروف بذي القرنين جبولة على ايران شهر ، ولبث الملك في الروم نحو مائتي سنة بتدبير دبره وزير الاسكندر وهو ارسطوطاليس . ان هذا خطأ في الرأي مع الدين الذي يحرمه ، والعقل الذي يحضره ويحرجه في سفك دم غير مستحق للسفك وقتل نفس الا قودا بنفس ،

ثم ان تلك البلاد التي تنبت أمثال اولئك البشر فكيف يحصد زرع يعود نباته سريعا ويرجع عوضه قريبا . ولكن الرأي ان تقسم البلاد بينهم ويسوى بين المراتب منهم ليتحاسدوا ويتنافسوا في حدودهم ويتغالبوا فتسلم رياسة الملك للاسكندر ومن يقوم مقامه من ذريته ، وذوي لحمته فملك الروم ايران شهر بهذا التدبير مائتي سنة ويسيرا ، وسموا ملوك الطوائف الى أن ظهر أردشير بن بابك فأزال تلك القاعدة ونسخ تلك الحيلة .

أردشير بن بابك

فكان أردشير هذا رجلا ملك بشجاعته وبأسه وحلمه واناته وعقله وحصافته وتدبيره وسياسته، ولا نسب له الى ملك مذكور، وسيد مخدوم ولذلك قال ان نسبي مني ابتدا، ونسب غيري اليه انتهى، وله في القوانين التي سنها في السياسة أن يكون الافتخار بالأنساب دون تشريف النفس بكرائم الأخلاق وفنون الآداب.

وكان أول ملوك الساسانية الذين ملكوا الدنيا بعده الى أن ظهر الاسلام فطمس على آثارهم وذهب بملكهم وحكم بالصغار عليهم الا من آمن منهم. وكان أول من ساس بالصواب وحكم بالصلاح، ورفق بالعباد وخفف عن البلاد، ومن حزمه أنه هادن ملوك الترك، وتجافى عن كثير من حدود مملكته لهم، ووصى وارثي ملكه بحفظ السيرة معهم.

أمة الترك

ولنذكر الآن حال هذه الأمة أعني الترك في طباعهم، وشيمهم وأحوالهم وطرقهم وانحائهم وسبلهم غير معطين إياهم ما لا يستحقونه، ولا سالبين عنهم ما يدعونه، ولا ذاهبين مذهب التعصب لهم وعليهم والتقرب اليهم وبهم، فكتابنا هذا يعرض على نقاد

المعاني والألفاظ بل نقاد اللحاظ والألحاظ ، وقد استعذنا بالله تعالى من الرياء المنهي عنه في سائر الشرائع والنحل ، وفي كل أوان وزمن .

شجاعة الترك

فنبدأ بذكر شجاعتهم التي هي من أشرف قوى النفس الناطقة اذ كانت الذائدة عن الحريم ، والمجاهدة للخصم ، والقاضية بالفلج والممتنعة من المضيمة والحامية عن الرهط والعشيرة ، والمقتضية للغيرة الحميدة والأنفة الجميلة ، وبها يضبط الممالك ، ويحرس المسالك ، ولأجل منهم أظهر جلدًا وأبعد في تحصيل الباغي أمدًا . وقد خلقهم الله تعالى في صور الأسود عرض وجوه وفطس أنوف ، وعبالة سواعد ، وزعارة خلائق الا ما عسى يقع في الندرة من هيف الخصور ، واسالة الخدود ، ونجل العيون ، واغتصاب للمطاعم ، وامتناع من المغارم ، وما من عصبة من أصناف الجند الا وتأديب الواحد منهم يردع جماعتهم ، ويقمع كافتهم سواهم فان خاص الزجر لا يكفهم دون العموم ، وتأديب الواحد لا يردعهم دون الجمهور ، ثم مطاعمهم اللحم الذي لا يريدون به بديلا ، ولا يراعون فيه نضجا او تنظيفا ، ولا يستطيبونه الا ما كان اغتصابا ، ولا يلتذون به الا اذا وجدوه

استلابًا.

وهذه عادة السباع الضارية، والليوث العادية، ثم الفهم للفيافي والقفار، وصبرهم على الأسفار والأعسار، وعدّهم رغد العيش في غارة تُشنّ، واقتدار يُمَنّ، ونصب يُحمل في طلب ظبي نافر، وعير عائر. حتى إذا طال الكلال قد بلغ إليهم ونال منهم، كانوا في مثل نشاطهم الأول في ركض الفرس، وتسنّم الجبل وركوب الخطر في توغل المخارم، وارتكاب المجاهل ومن شرف طباعهم وكبر هممهم أن الاسلام قد فرض غزو الكفار منهم كما فرض على سائر الأجيال وطوائف أهل الشرك في سائر البلاد، فمن سبي منهم لم يرض الا بأن يساوي سيده في مطعمه ومشربه، وملبسه ومركبه، ولا يُسَفّ في خدمته الى ما يُسَفّ اليه سواه من الحاصلين في الرق، والمجلوبين بالسبي ككنس الدار وسياسة الدواب وما أشبه ذلك مما يستخدم فيه سائر الرقيق الذين ضربتهم ذلة الكفر، وتناولتهم يد القهر، وما رأينا منذ رأينا هنديًا أو روميًا، أو أرمنيًا او واحدًا من أصناف المماليك وفيهم الا وغدر همته معروف، وشوطها معلوم.

لا يقرب ولا

أي لا يرضى الا بزعامة جيش

وليس يرضى التركي اذا خرج من وثاقه الا بزعامة
جيش او التوسم بمجبة . او الرياسة على فرقة، والأمر
والنهي على عصبة . وليس ذا في بلاد خراسان خصوصا،
وهي متاخمة لبلادهم ، وملاصقة لديارهم، بل حالهم
هذه الحال بمصر ان شئت وهي أنأى النواحي عن منشأهم
وأجهلها بكلامهم ولغتهم وان شئت بالعراق وهي تجمع
أصناف الأجناد من الديلم والعرب والاكراد ومملكها

الديلم

الديلمي التي تدعى فيها التراث القديمة، والطوائل العتيدة،
وقد جرب منهم الخلفاء والملوك من الديلم قرنا بعد قرن
التطاول عليهم والفتك بهم والمنازعة في ملكهم والمغالبة
على غيرهم، وليست لهم منة الانتصاف منهم والانتصار

لعله منقبة

والاستيلاء عليهم والاقتدار، وحسبك من جلالة
قدرهم، وظهور كبرهم، وإباء جانبهم، والتواء
حبلهم، قول رسول الله صلى الله عليه تاركوا الترك
ما تركوكم .

قال الرسول صم في الترك

هذا مع قوله عليه السلام اني بعثت الى الأسود
والأحمر يعني العرب والعجم، وامرة أن يقاتل الأمم
حتى يظهروا كلمة الاسلام، ويدخلوا تحت جامعة

الاديان

الايمان ، وأغرب ما فيهم ان أحداً من الناس ما رأى تركيًا خالصًا وقد عراه التخنث مع اشتمال هذا العادة وهذه العاهة على جميع من رأينا من الأمم وخصوصًا الجبل، فان كان فيهم من عرض بعض التأنيث في كلامه واشارته ولباسه وشارته فانه عن مولدي الأتراك الذين سرى فيهم عرق المجاورين لهم من نابية هذه الديار .

نابتة

واذا قد أومأنا الى بعض مناقبهم التي لا يستطيع معارض لها دفاعًا ، وفيها نزاعًا ، فلنرجع الى ذكر ملوكهم الذين كانوا من جنسهم أو من البلاد التي تتصل ببلادهم كملوك خراسان من آل سامان وغيرهم ، وسبكتكين وأولاده وأسباطه من محمود ومحمد ومسعود رضي الله عن جماعتهم ، وكيف تعززوا بمكانهم ، واستولوا بأيديهم وثوبهم على نظرائهم وأقرانهم ، وكيف مهدت على أيديهم وتمت بهم مقاصدهم ، واضاءت منهم أيامهم ، ونصرت به أعلامهم ، والى هذه الغاية وقد ضمنهم دعوة مولانا سلطان العالم ، ملك الاسلام ، شاهنشاه الأجل الاعظم ، ركن الدين ، وغياث المسلمين ، بهاء دين الله وسلطان بلاد الله ، ومغيث عباد الله طغرلبك أبي

ذكر ملوك الترك

ملك الاسلام طغرل

طالب محمد بن ميكائيل يمين خليفة الله امير المؤمنين [1] اعز الله نصره وأيد ملكه ، وكبت اعداؤه ، ونصر لواؤه . فانقطعوا منه الى من شمل الأرض عدله ، وشرق وغرب ذكره ، وأوتي من الملك مالا ينبغي لأحد من بعده ، وأعطى من الجلالة مالم يحط به ملك من قبله ، وتعين على كل مسلم أن يدين بطاعته ، ويدخل تحت سعته ، ويخلص سره وعلنه في موالاته ويقف ليله ونهاره على الدعاء له ليزيد الله في نصره راياته ، واظهار آياته ، وسنذكر بعض ما شاهدناه عيانا ، وسمعناه خبرا من آثاره في العدل والاحسان وتحري رضى الله تعالى في العدل والاحسان ، والرأفة بعباده في حال الرضى والغضب ، واستحقاره ما استعظمه الملوك قبله من المال والنشب . ونشرح ذلك شرحا لا يتخلله ملق ، ولا يطرز به تشوق ، ولا يخالطه مين ، ولا يشينه رياء وتخرص ، فليس يدعونا الى ذلك خوف ولا طمع ، ولا يحثنا عليه شغف ولا ملق ، ولا عرض في ايراده غير الصدق المطلوب لذاته ، والحق المقصود لنفسه

(1) ترجمته في تاريخ آل سلجوق ، وتاريخ ابن ابي عذيبة وابن خلكان وابن الاثير وكتب تاريخية عديدة .

وغير قضاء حق نعمته في الأمن الذي وجدناه في أيامه . والخفض الذي عهدناه في ظل سلطانه .

وأقوى الدواعي الى وضع هذا الكتاب والاجتهاد في تأليفه وتفويفه أني وثقت بالشيخ العميد الأجل السيد المؤيد عميد الملك عماد الدين أبي نصر منصور بن محمد[1] أدام الله رفعته في نقد معانيه والفاظه . وتحقيق مغازيه واغراضه ، والتنبيه على خلل يجده ، والترفع عن الشهادة بما لعله انقوله ، ثم بتفسيره له باللسان التركي للسلطان الذي من اعظم سعادات أيامه تجملها بمكانه وعلو شأنها بكبر شانه ، وتهذب احوالها بثمرات يده ولسانه ، والفضائل مقسومة بين البشر ، ولكل حظ ينفرد به دون الآخر ، والتمام كما يشهد به العقول معوز والكمال معجز ، والعلوم تنقسم الى ما به النجاة في الآخرة ، والمعيشة والذكر في الدنيا ، فأما ما هو زاد المرء عند الرجعى الى رحمته وعفوه فهو علم التوحيد حتى يعرف الله تعالى حق معرفته فلا يلحق به من الصفات الا ما تزيده عن

الشيخ العميد الكندري

علوم الآخرة التوحيد

(١) في دولة آل سلجوق ص ٩ (محمد بن منصور) وهناك ترجمته وفي ص ٢٨ وفاته ... وراحة الصدور ص ٩٨ ايضا مع الهامش هناك . ووفيات الوفيات ج ٢ ص ٨٨ : ٤٩٢ – ٤٩٢ .

اسمه تعظيما، ولم جل ذكره تقديسا، والدلالة على
وجوده، ووحدانيته بما لا يوجب مناقضة ومخالفة.

ثم الدلالة على نبوة انبيائه، ووجوب المعجزات
من جهتهم وخصوصا النبي الذي ختمت به الشرائع،
ونسخت بنحلته النحل، وهو محمد صلى الله عليه.

التفقه في الدين

ثم التفقه في دينه، والتفضيل لسنته، والدلالة
على معجزة القرآن الذي أتى به، ونزل على قلبه من ربه
والمعرفة بغريبه واعرابه، وحلاله وحرامه، ومحكمه
ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، والأسباب التي نزلت
لها تلك الآيات مفرقة ومصرحة، وخفية أو جلية،
وفريضة أو سنة، ثم الصناعة بان يكون العبارة والكتابة
والنظم والنثر، والاختصار والاطناب، والإشارة
والاسهاب بمقتضى هذا الكلام العربي الذي شرف بين
الكلم، وفضلت الأمة الناطقة بها على سائر الأمم.

فهذا ما يتعلق بعلوم الشرع والدين.

علوم الفلسفة

ثم هاهنا علوم تتعلق بمعرفة حقائق الاشياء
التي خلقها الله تعالى أفلاكا وكواكب، وغرائز وطبائع،
ومضار ومنافع. ولكل جنس من هذه كتب مصنفة،
وقوانين مرتبة، وعلماء يقتدى بهم ويؤخذ عنهم، ويرجع

اليهم

عن
اليهم، وعز وجود من يكون له في جنس من هذه العلوم تقدّم قدم، وصواب أثر، فان وجد كان الامام الموموق والفاضل المشهور، والحبر المشهود له، والالمعي الذي لا غاية وراءه. فأمّا المحيط بجميعها خُبراً والمتقن كلّها علماً، والمبرز في عامها وخاصها وسهلها وشاقها فما سمعنا به ولا رأيناه، ولا أخبرنا عنه ولا اخبرناه.

الشيخ العميد والعلوم

وهذا الشيخ الأجل العميد عميد الملك حرس الله دولته، مبرّز في كل واحد حتى كأنه لم يقرأ سواه علماً. ولم ينفق في غيره عمراً. وهذا على حداثة السنّ، وتراكم الشغل، وعلى أن وقته مستغرق بتدابير الشرق والغرب. وسياسة العجم والعرب. وهذا لا يكون الا بتوفيق من الله تعالى حاضر، وجد صاعد مساعد، وطالع غريب لم يتفق مثله في السعادة، وشرف الولادة.

وما أقول هذا الا بعد اختبار وتجربة واستقراء ومباحثة وشهادة كل فريق اختص من هذه العلوم بمجاز أو تحقيق، أو ضرب فيها بحظ ونصيب. وصدق قول النبي صلى الله عليه اذا اراد الله بامرئ خيراً جعل له وزير صدق ان نسي ذكّره، وان ذكر أعانه. ومصداق ما أقوله ان مدة تولية نصير الله لهواء الملك معلومة

وآثاره الحسنة ، ومواقفه العادلة ، ومقاماته المحمودة ان شئت في الحلم عن الجناة ، وان شئت في البذل للعفاة ، وان شئت في التوفير للكفاة ، وان شئت في التعطف على أهل البيوتات ، وان شئت في الترفع عن الشبهات ، كانت في المدة التي حظي فيها هذا الشيخ المؤيد بخدمته ، واختص بحضرته ، ونفذت أوامره على مملكته ، ووقع الاصغاء الى نصيحته .

الأمير الاسفهسلار سيف الدولة

فمن ذلك ما أتاه في معنى الأمير الاسفهسلار سيف الدولة أبي اسحق ابراهيم بن يوسف وقد قدم اسيرًا بين يديه ، وفرائصه ترعد ، والخوف يقوم به ويقعد ، وكل يتوقع من السلطان أعز الله نصره الاشاطة بدمه ، والتشفي منه بقتله ، فقام اليه معانقًا ، وقبل عذره كاذبًا كان او صادقًا ، وبالضد من هذا فعل عضد الدولة ببختيار وهو ابن عمه ، كان حين ظفر به فلم يشفه الا قتله ، وحز رأسه ، وتقديمه في الطست مبالغة في التشفي منه ، فأين المباين عن هذا الحلم العظيم والعفو الكريم .

الحقد

أهل أصبهان

وأغرب من هذا ما أتاه حرس الله علاه في معنى اهل أصبهان وقد جاهروه بالعصيان ، وقاتلوه .

بالجحود والكفران ، واحقدوه بجنايات اليد ، وهنات اللسان ، وغرموه الأموال العظيمة على محاصرة البلد ومداواة ما أظهره أهله من البغي والتمرد . فما كان منه وقد فتح البلدة عنوة ، وظفر بأهلها جهرة الا العفو الذي حير العالمين ، واخجل الملوك السابقين . وهذه الخصلة وان كان كرم الطبع وشرف الهمة والنفس الحاديين اليها والباعثين عليها ، فان الشيخ الأجل العميد عميد الملك حرس الله دولته امتزاها برواية أخبار الحكماء له وايقاظه بالوعظ الكريم خفية ، وشد عزمه ، و بالضد من ذلك فعل عضد الدولة وقد ظفر بأهل بغداد لما قتل بختيار فأزال نعمهم وحل النقم بهم ، وضرب النيران فيهم . هذه والخلافة مستقرة بها ، وثاوية فيها .

فأما نسب هذا السلطان أعزه الله نصره فقد كفى في شرفه انه لا ينتهي كنسب غيره الى مسترق مملوك ومجهول مغمور ، ومن أجداده سرجوق(١) الذي ضرب ملك الخزر بسيفه فاثخنه بعمود كان في يده حتى خرت دابته ، وسقط لوجهه . وهذا لا يفعله الا نفس حرة وهمة على الصوف مطلة . ومنه ابتدأت الدولة

البلد

أهل بغداد

نسب السلطان

سرجوق (س...

(١) ورد في اكثر كتب التاريخ بلفظ (سلجوق) بن (تقاق) أو (دقاق) وفي بعض الكتب يقاق واظنه غير صواب .

و نشأت الدعوة .

فأمّا ما شاهدته من ورع هذا السلطان أعز الله نصره مما تحققت به أن ملكه دائم لا تتحلحل قواعده ، ولا تنحل معاقده أني حضرت مجلسه العالي وقد عملت نسخة عهد نبل[1] للأمير زُرَيْر بن علاء الدولة حين أوجب الجَرَبا ذقان ، وكان مما شرط عليه أن لا يضعف يده ولا ينجع منه ما خوله . فقال حرس الله بسطته الا ان يظلم رعية ، أو يقبض على ملك ، فلا يرضى بذلك منه ، وكل من الحاضرين قضاة وعدولاً ووزراء وكتاباً ، لم يهتد الى هذا الاستثناء ، ولم يذكر بعده المأثرة الغراء .

نسخة عهد وما شرط فيها

وقد علم الله تعالى اني منذ سعدت بخدمته واستمسكت بأسباب دولته ما رأيته خيب آملاً ، أو نهر عالماً ، أو فسح في ظلم ، أو رخص في إثم . فنما الظن بمالك هذا أيسر مساعيه ، وأوفى مصالحه ، وسأذكر من بعد تفصيل آثاره في الفتوح التي سهلها الله سنة بعد سنة مما شاهدته منذ سعدت بأيامه ، وادرعت انصافي من اكرامه وانعامه . وأرجع الى الأجل ، حبيب الملك كبت الله اعداءه فيما غبت

الملك لم يفسح في ظلم ولا رخص في إثم

(١) وردت غير منقوطة .

عنه من آثاره لبعدي عن سامي بابه . ومن الله التوفيق وعليه التوكل واليه المصير، وهو حسبنا ونعم النصير .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً. تيسر الفراغ من نسخه في منتصف ذي القعدة سنة تسع وأربعين وستمائة هلالية .

انتهى

وجاء في هامش آخر الكتاب :

«عورض بالأصل المنقول منه[1] وكتب الملتجئ المحرم الله تعالى (الحسن بن)[2] محمد بن الحسن الصغاني جعله الله[3] مخيماً بمحاله غير منتقل عنها الا[4] في ذي الحجة من شهور سنة تسع وار[بعين] وستمائة حامداً ومصلياً[5] »

---

(١) كلمة لم تقرأ . (٢) هنا خرم تعل (الحسن بن) يصادفنا باسم وترجمة في منتخب المختار ص ٤٨ وفي الحوادث الجامعة ص ٢٦، وكتب كثيرة . (٣) (٣ و ٤ و ٥) خرم ايضاً .